انه ينوي المحافظة عليها « حتى انتهاء أجلها » . وكان ذلك يناسب القيصر تماماً ، إلا أنه لم يدعْ السفراء للعشاء على مائدته وبهذا الإهمال وحده أظهر تجاههم برودته .

عند انتهاء أجل الهدنة كانت الحرب لا بد منها . وقرر إيڤان أن يستفيد من كل الوقت الذي بقي أمامه بالطريقة التي تؤمن له امتلاك ليڤونيا وسواحل البلطيق . وكان الجيش جاهزا . وأطل التتر مسرعين يمتحنون قوة خصومهم ولكنهم ما لبثوا أن عادوا بأسرع مما أتوا . فبعد السنة التي قضاها إيڤان في الاجازة بدا أنه غدا أكثر تأهبا وحذرا . لم يكن يهمل شيئا من أجل حماية موسكو ضد أي هجوم ، وأمكنه بذلك أن يتجه نحو الشمال الغربي وهو يشعر باطمئنان كبير .

بدأت الأعمال العدوانية خلال الشتاء البارد المليء بالزوابع من عام ١٥٧٦ ــ ٧٧ . فحاصر الروس ريڤال من جديد دون أن يهتم الملك إتيين بذلك لأنه كان يحاصر دانزيغ التي كانت قد أعطت أصواتها لكسمليان وتفضل القتال على الاعتراف بباثوري(*) . وكان ملك السويد قد كتب لإيڤان ينصحه بألا يهاجم ريڤال لأنه ينوي بيع المدينة الى الامبراطور الذي سيخلف مكسمليان والذي يمكن للروس أن يقوموا بتسوية معه . ومع ذلك فإن السويديين دافعوا عن مدينتهم ببطولة ، فرغم الهجمات التي دفع بها الروس من جهة البحر الذي يغطيه الجليد فان السويديين ألحقوا بالروس من الخسائر أكثر مما ألحقه الروس بهم . وكان البؤس والحرمانات قد جعلت الليڤونيين أكثر صلابة فلم يعودوا أناسا مائعين أو مخنثين كما كانوا في عهد الفرسان التيوتون . ورغم الانتصارات التي تسلسلت عبر سنين طويلة فان إيڤان كان قد ارتكب خطأ بأنه لم ينجز فتحه وينهيه بمعاهدة صلح . وكان لا بد من إدارة مدنية لتنظيم الأرض المفتوحة وإخضاعها للدولة الروسية ، وفي هذه النقطة نرى كم كان

(*) هو إتيين . ــ المترجم ــ